امريكا بين الحظر و الاباحة

في اليوم الخامس من هذا الشهر ختمت في أمريكا تلك المحاولة الخطيرة التي أطلقوا عليها بحق اسم « التجربة النبيلة » : أي محاولة تحريم الخمور في جميع الولايات المتحـــدة بأمريكا ، والآن ونحن نشهد ختام هذه التجربة يجمل بنا ان نقف لحظة لنفكر في أمرها ، كيف بدأت وكيف انتهت ، فاننا ونحن نعيش في اقطار اسلامية يحرم دينها شرب الخمر ويحظر بيعها وشراءها ، لايجوز لنا ان نمر بهذا النبأ الخطير كأنه أحد الأنباء العادية . بل يجمل بنا ان ننعم النظر فيه قليلا .

ليست الولايات المتحدة دولة كسائر الدول، بل يميزها أمور عديدة : منها حجمها الهائل ، فانها تكاد تعدل أوربا في المساحة . وهي وحدها عالم قائم بذاته ثم سكانها ، وهم يربون على مائة وعشرين مليونا من الناس ، أكثرهم يمت الى أصل سكسوني ، ولكن بينهم جماعات كبيرة من الاسكندناويين واللاتين والسلاف وخليط من شعوب الارض جميعا ، هذا عدا الزنوج الذين يزيدون على عشرة الملايين ، وقد جيء بهم فيما مضى عبيدا لكي يعملوا في الحقول ، ثم أصبحوا اليوم « أحرارا » ، لهم من الوجهة النظرية ، مالغيرهم من الحقوق .

ثم هنالك أمر آخر يميز نظام الحكم في الولايات المتحدة ، وهو ان لكل من الثماني والاربعين ولاية التي تتألف منها الدولة نصيباً كبيراً من الاستقلال الداخلي ، ولهذا كان في الولايات المتحدة دائما سلطتان : السلطة المحلية ومركزها عاصمة كل ولاية ، والسلطة الإتحادية ومركزها واشنطون . وهي التي تدير الامور التي تهم الدولة كلها . ونظرا لحرص كل ولاية من الولايات على حقوقها واستقلالها ، فان دستور امريكا يوضح تماما ماهو داخل في اختصاص الحكومات المحلية ، (State govt.) وما هو داخل في اختصاص الحكومة الاتحادية (Federal govt.)

كل هذا لابد لنا من تذكره كي نستطيع ان ندرك الصعوبة التي كابدتها حكومة امريكا من أجل تنفيذ قانون التحريم . فان هذا القانون بقي حبرا على ورق ، لان معاقبة المجرمين من أجل جرائم التهريب والاتجار في الاشياء المحرمة كان من اختصاص كل ولاية وليس من اختصاص الدولة . وهذا يفسر لنا إن مجرما خطيرا مثل آل كابوني لم تستطع الدولة أن تحاكمه من أجل الجرائم العديدة التي ارتكبها في سبيل تجارة الخمور المحرمة . بل حاكمته من أجل تقصيره في دفع ضريبة الدخل . اذ كان من اختصاص الدولة ان تحاكمه من أجل هذا الجرم الخفيف نسبيا . لامن أجل الجرائم الكبرى التي هي من اختصاص الولاية .

ولا بدلنا أن نتساءل عن المؤثرات والقوى التي دفعت بالولايات المتحدة نحو التحريم ، اذ ليس من السهل أن نفهم هذا الانقلاب الهائل في الرأي العام ، فان الامة التي نادت بالحظر الشديد في سنة ١٩١٩ هي بعينها التي تنادي اليوم بالاباحة . ان هذا القانون لم يفرضه الحكام على الناس فرضا ، بل لقد فرضته الامة على نفسها بعد انعام النظر وطول التجربة . وقد كانت في الولايات المتحدة قوى كثيرة تعمل بنشاط لتحريك الرأي العام وتحويله نحو التحريم . وهذه القوى كانت موجودة دائما تنتظر الفرصة الملائمة ، وكان لها تأثيرها قبل سنة ١٩١٩ . ونرى هذا واضحا في أن أكثر من الثلاثين ولاية قد حرمت الخمر من تلقاء نفسها قبل سنة ١٩١٩ . ولكن هنالك فرق كبير بين أن يحرم الشيء في كل ولاية على حدة ، وبين أن يحرم بقانون من الدولة ؛ ففي الحـــالة الاولى تراعى كل ولاية مصلحتها الخاصة ويسهل عليها تعديل والغاء الاحكام ، ويمكن لمن لا يرضيه قانون الولاية أن ينزح الى ولاية مجاورة (وهذا هو الحال مثلا فيما يتعلق بقانون الطلاق) . أما قانون الدولة فيفرض على جميع الولايات بمجرد موافقة ثلثيها . فيفرض على الراغبين والكارهين على حد سواء ، ويصبح كل فرد ولا مفر له من الاذعان أو العصيان ، ثم تجرد جميع قوى الدولة لتنفيذ هذا القانون بكل ما تقدر عليه الدولة من الشدة والصرامة .

ولهذا كله فان تحريم ثلاثين ولاية للخمور لم يكن له تأثير ذو شأن ، ولكن التحريم في الدولة كلها كان حادثا ذا شأن خطير .

كان أهم الراغبين في التحريم رجال الصناعة في الشمال ، ورجال الزراعة في الجنوب . فالأولون — ويمثلهم المستر هنري فورد — قد رأوا أن الخمر تذهب بقوى العمال وتضعف صحتهم وتقلل من جهودهم ، فلا يستطيع صاحب المعمل ان يحصل من عماله على الجهود التي يرجوها في مقابل الاجور التي يدفعها . أما أصحاب الزراعة في الجنوب فيعتمدون في زراعتهم على الزنوج ، وهؤلاء كانت تذهب الخمر بألبابهم وتقعدهم عن العمل ، وتتركهم في حالة زرية . والزنجي أقل قدرة على ضبط نفسه والوقوف في الشراب عند حد . وكان هنالك غير هؤلاء جماعات من محبي الخير الذين يكرهون الخمر لذاتها ، ويريدون أن يخلصوا الناس من شرورها ، مؤمنين بأن

فى هذا رفعا لشأن بلادهم ، واعلاء لكلمتها ؛ ويمثل هذه الجماعة المستر جون روكفلر الصغير وزمرته . وقد انتشر فى الولايات المتحدة قبل التحريم نوع من الحانات أطلقوا عليه اسم الصالون (Saloon) قد أصبح على مضى الزمن بؤرة فساد وموبقات . وقد كره بعض الناس لهذه الصالونات حتى دفعهم الى المطالبة بالتحريم . مع أن ابطال هذه الاماكن قد لا يستدعى هذا العلاج الصارم .

بذلت هذه الجماعات كلها جهودا جبارة ومالا كثيرا من أجل استمالة الرأى العام . وساعدتهم الحرب العامة التى استدعت تحريم الخمر فى بعض الولايات ، والتقليل من شربها فى البعض . وتم لهم النصر فى يناير سنة ١٩١٩ حين حرمت الخمر فى جميع الولايات باجماع ٤٦ ولاية من الثمانى والأربعين التى تتألف منها الدولة ، وحرم بيعها وصنعها والاتجار بها واستحضارها من الخارج . وجهزت الدولة جيشا هائلا وأسطولا قويا لتنفيذ هذا القانون . الذى أعطى شكل تعديل فى الدستور وأطلق عليه اسم التعديل الثامن عشر ، ومن الغريب أن دستور الولايات المتحدة لم يعدل يوما بمثل هذا الاجماع وهذا الاقتناع وتلك الأكثريات الساحقة .

لقد وصفت الولايات المتحدة بأنها معمل هائل للتجارب الاجتماعية ، ولكن لا يعرف فى تاريخ العالم كله تجربة اجتماعية ضخمة كهذه التى أقدمت عليها أمريكا فى تلك السنة . فان المعمل الذى أجريت فيه هذه التجربة ليس بلدا صغيرا كفنلنده ، بل دولة مساحتها تزيد على ثلاثة الملايين من الأميال ، وسكانها يربون على المائة والعشرين مليونا مختلفى الجنس والثقافة والميول . وان البلاد الاسلامية نفسها وهى أولى من أية بلد فى العالم باجراء مثل هذه التجربة لم يعرف عنها يوما أنها حاولت بذل مثل هذا الجهد فى أى عصر من العصور من أجل تنفيذ أحكام الشريعة .

ولهذا دهش العلم كله يوم أقدمت الولايات المتحدة ، حرة مختارة ، على هذه التجربة الخطيرة . واننا اليوم — وقد أصبحنا عقلاء بعد ان وقعت الواقعة — نستطيع أن نقول إنه كان الافضل ان تترك مسألة الاباحة والتحريم الى كل ولاية تتصرف فيها بما تشاء بدلا من أن تصبح مسألة الدولة باجمعها ، ولكن فى سنة ١٩١٩ لم يكن من شك فى ان أكثرية الامة فى جانب التحريم . وقد أقدم نحو ثلاث وثلاثين ولاية على تحريم الخمر

على كل حال سارت التجربة فى طريقها اول الامر . وانظار العالم كله تتطلع الى أكبر دولة فى العالم ، وهى تحاول أكبر تجربة اجتماعية فى التاريخ . وكان الكثير من الناس يبدى عطفه على أمريكا وكأنما الكل واثق من نجاح التجربة فى النهاية برغم ماقد تلاقيه من الصعوبات ، وجعل بعض المصلحين يحلمون بأن سنة التحريم ستنتشر من الولايات المتحدة الى سائر الاقطار

ولكن كانت هنالك قوى تعمل للشر ، وان لم يتوقع أحد أن سيكون لها كل هذا الخطر ، فنهضت هذه القوى الشريرة لتنظيم الاتجار بالخمور بكافة أنواعها : مما قد يصنع خلسة فى داخل البلاد أو يستورد من الخارج . وسرعان ما أنشئت أساطيل لاعمل لها غير هذه التجارة المحرمة : واتسع نفوذ هذه الجماعات حتى أصبح لها نفوذ كبير — بل أحيانا النفوذ الاكبر — فى كل ولاية ، حتى لقد كانت لها الكلمة النافذة فى تنصيب رجال الحكم . وانتشر الاجرام بين هذه العصابات ومن يعترضها فى أعمالها ، وكذلك فيما بين العصابات المتنافسة نفسها ؛ وأصبح أمرها حديث النوادى والصحف وموضوعا للصور السينمائية ؛ وبطريق العدوى تجاوز الاجرام دائرة تجارة الخمور ، الى الاجرام فى نواح أخرى كالاختطاف والسلب والنهب وما الى ذلك .

بات من الواضح للعالم كله أن تلك التجربة الهائلة قد فشلت فشلا تاما . فان الحصول على الخمر برغم التحريم كان أمرا فى غاية السهولة ، ولئن كانت الحانات القديمة (الصالونات) قد أغلقت ، فقد نشأ مكانها حانات خفية أشد خطرا وأكثر وزرا . وهذه أطلقوا عليها اسما غريبا وهو (Speakeasy) . ويؤكد اكثر الكتاب أن شرب الخمر فى زمن التحريم كان أوسع انتشارا مما كان علية قبل التحريم .

ولكن برغم فشل التجربة الذى كان واضحا لكل ذى عينين ، بقى فى الولايات المتحدة جماعات كثيرة تنادى باستمرار التحريم ، وبتشديد المراقبة والضرب على أيدى المجرمين . غير أن هذه الجماعات أخذت تضعف على مضى الزمن . حينما انتشرت فى طول البلاد وعرضها جرائم منكرة من نوع اختطاف طفل لتدبرج ، فأيقن الناس أن التحريم قد أوقع البلاد فى حال من الفوضى والاختلال هى شر من الخمر التى أريد تحريمها .

ومن اكبر مظاهر التحول فى الرأى العام ، ذلك الخطاب الشهير الذى كتبه المستر جون روكفلر الصغير فى صيف سنة ١٩٣٢ يبدى فيه أسفه الشديد لانه — وهو من أكبر دعاة التحريم — مضطر الى الاعتراف بأن التجربة النبيلة قد فشلت فشلا محزنا .

وهكذا أخذ الرأى العام يتحول حتى استطاع المستر فرانكلين روزفلت أن يستميل الأمة الى صفه ، حينما أعلن فى شجاعة وصراحة أن من مبادئه الغاء التحريم . ومنذ انتخب للرآسة فى أوائل هذا العام وهو يسير بالبلاد نحو الألغاء حتى تم له فى أوائل هذا الشهر ما أراد ، بأن حصل على موافقة ست وثلاثين ولاية على الغاء التعديل الثامن عشر .

* * *

والآن وقد انتهى التحريم ، فما عسى أن يكون المستقبل ؟

ان الذين نادوا بالغاء التحريم ، لم يفعلوا ذلك لرغبتهم فى شرب الخمر وحبهم لها ؛ بل ان اكثرهم قد فعل ذلك أملا فى أن الاباحة تقضى على تلك الشرور التى ولدها التحريم . فتنتهى بانتهائه . ولكن من الصعب أن يتنبأ المرء بشىء . فان بضع عشرة سنة تقضيها عصابات الاجرام فى نشر الاجرام والفساد فى جميع انحاء البلاد ، لايتصور أن تنتهى آثارها فى عشية أو ضحاها . ومما لاشك فيه أن البلاد اليوم فى حال انتقال شديد الخطورة ، فقد تفيق بسرعة من تأثير هذه السنين العصيبة ، وقد تبقى تحت ظلها القاتم زمنا طويلا ، خصوصا اذا ذكرنا أن عدد الذين يشربون الخمر قد ازداد ولم ينقص اثناء التحريم . وأن الاباحة الجديدة لابد أن تؤدى زمنا ما الى الاسراف فى أمر محبوب كان ممنوعا فاصبح مباحا . ومن غير شك ان الحكومة تعزى نفسها بأنها ستجنى من الاباحة ضرائب تقدر بنحو خمسمائة مليون دولار . (أى نحو مائة مليون جنيه) .

على كل حال لايستطيع المرء أن يملك نفسه من الأسف الشديد على فشل هذه التجربة الشريفة التى لم تكن ترمى إلا الى أشرف المقاصد وأسماها وهو إعلاء شأن الانسان وإسعاده .

م . ع . م

تصحيح

جاء فى قصيدة (شهيدا الطيران) المنشورة فى العدد الماضى قوله : (واشهدوا الانسر تهوى للقرار والصواب للعزاء) وقوله: (فدية لوصح فى الموت الفرار) والصواب : الفداء

وحدة الوجود . . .

كثير من المذاهب الفكرية ، والمذاهب العقلية ، والطرائق الرياضية ، ترمى إلى « وحدة الوجود » ، وكلها تتباين فى طرق التفكير ، ونهج الفلسفة ، ولكنها متفقة مجمعة على حقيقة واحدة ؛ تلك الحقيقة هى أنه بين غير المتناهى والمتناهى علاقة يتأدى بها الى اتحاد الطرفين

وكما اتفقت تلك الفرق فى اختلافها على هذه الحقيقة . اتفقت فى وجهة النظر التى سارت بهم على ضوء المقدمات حتى انتهت بهم الى هذه النتيجة ، فهم متحدون فى المصدر والمورد مختلفون فى الطريق الذى بينهما

فالكثرة الغالبة من فلاسفة الصوفيين فى الاسلام يعتبرون أن الحق موجود قبل كل موجود ، وهذا صحيح ، ثم يقولون وقد وجدت الكائنات بعد ان لم تكن ؛ ولما كان غير معقول أن يوجد شىء من لا شىء لزم بالبداهة أن يكون الوجود هو عين الموجود ، وأن ليس وجود الا وجود الحق يصور أحوال ما هى عليه الكائنات ، فالله ظاهر فى المظاهر ، والمظاهر هو على ماهى عليه

وهذا بعينه هو ما انتهى اليه « هيراكلت » الفيلسوف اليونانى اذ استنتج أن الكائن الالهى يتخلل صور الاشياء المتناهية ، والمتناهى نفسه لا يوجد الا فى الله

وتكاد تكون عين ما وصل اليه « تولاند » أول من أطلق اسم الاتحاد فى أوربا . حيث زعم ان العالم ليس منفصلا عن الله إلا فى وهمنا فقط

وقديما تساءل الناس من اين جاءت الروح ، ومم نشأ الجسم ؟ ثم قالوا اذا كان واجب الوجود غير متناه وجب الا يوجد شىء خارجا عنه ، لان غير المتناهى يستغرق كل موجود

وإذا تقرر أن الأرض وماتبع ليست إلا مجموعة صغيرة حقيرة من مجاميع لاعدد لها تسير بقانون فى فضاء لايتناهى

اذا تقرر هذا جاء العقل فقال إن شيئين غير متناهيين لايوجدان معا ، فاذا كانت الكائنات غير متناهية ، والخالق غير متناه ، وجب أن أحدهما هو الآخر

وعلى ضوء هذا الفكر مشى العقل طفلا يحبو إلى الاتحاد ، فلما أن شب واستطاع أن يمشى على ساق الاعتقاد بافتراض الشك جرى الى المذهب ماستطاع الى ذلك سبيلا